Al-Academy Journal
Special Issue
TheTwentieth-first Scientific Conference in College of Fine Arts/University of Baghadad
Journal homepage: https://jcofarts.uobaghdad.edu.iq
ISSN(Online) 2523-2029/ ISSN(Print) 1819-5229
DOI: https://doi.org/10.35560/jcofarts1592

Man and Place: Exploring the Relationship of Influence and Influence in Contemporary Arts

Magda Al-Habsi [a] , *Fakhriya Al Yahyai* [b]

[a] *MA Student at Sultan Qaboos University- Oman*
[a] *professor of Arts- Sultan Qaboos University- Oman*

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

ARTICLEINFO

Article history:
Received 29 March 2025
Received in revised form 21 May 2025
Accepted 22 May 2025
Published 31 May 2025

Keywords:
place, natural environment, spatial identity, environmental psychology

ABSTRACT

There is a reciprocal relationship between humans and the natural environment (place), as the environment contributes to shaping human behavior, imprinting his thoughts, identity, physiology, and determining his philosophy, myths, religions, and architecture. At the same time, humans contribute to adding human characteristics to the environmental space. Contemporary art is a powerful expressive medium that reflects the relationship between humans and the natural environment. Although many artists have addressed the themes of the environment and the human connection to it, there is a shortcoming in representing concepts of adaptation to different environmental conditions and studying the psychological space of humans. With the development of societies, contemporary art has gained an increasing role in exploring the deep links between humans and nature. This research examines the role of contemporary art in embodying the human connection to the natural environment, its reflections in human behavior, and the ways humans adapt to living spaces associated with the environment. It also studies the impact of the environment on human behavior and explores how art contributes to enhancing environmental awareness and reshaping human perceptions of their living spaces. The research relied on the descriptive-analytical method to analyze a set of contemporary artworks that addressed the themes of the natural environment and humans. A purposive sample of 23 artworks from different artistic fields and historical periods was analyzed, concerning human behavior within the natural environment and how humans adapt to living spaces affected by the environment. The analysis of the sample revealed forms of the artist's influence by the natural place: primitive humans used the place as a means of psychological reinforcement, capturing fears through cave paintings. In the art of the ancient Egyptians, the depiction of the place was associated with divinity and holiness. In the arts of Mesopotamian civilizations, the place played a role in shaping human thought. In modern art, the natural place became the psychological space for the artist, leaving an emotional impact and evoking the artist's emotional memory. The results showed the ability of contemporary artworks to offer new perspectives on the relationship between humans and nature, as well as the diverse media and techniques employed by artists to depict the influence between humans and the natural environment. The research concluded with several recommendations, including the need to enhance the role of art in curricula as a means of understanding the relationship between humans and the environment, and the importance of focusing on supporting artistic projects that reflect environmental and spatial issues due to their impact on raising societal awareness.

DOI: https://doi.org/10.35560/jcofarts1592
Magda Al-Habsi, Fakhriya Al Yahyai: Man and Place: Exploring the Relationship of Influence and Influence in Contemporary Arts
Al-Academy Journal - Special Issue- TheTwentieth-first Scientific Conference -ISSN(Online) 2523-2029 /ISSN(Print) 1819-5229

الإنسان والمكان: البحث في علاقة التأثر والتأثير في الفنون المعاصرة

ماجدة الحبسية[1]
فخرية اليحيائية[2]

ملخص:

توجد علاقة تبادلية بين الإنسان والبيئة الطبيعية (المكان)، اذ تسهم البيئة في تشكّل سلوك الإنسان وتطبع فكره، وهويته، وفيزيولوجيته، وتحدد فلسفته، وأساطيره، وأديانه، وشكل معماره، فيما يسهم الإنسان في إضفاء خصائص إنسانية على فضاء البيئة. ويُعد الفن المعاصر وسيلة تعبيرية قوية تعكس علاقة الإنسان بالبيئة الطبيعية، اذ بالرغم من تناول الكثير من الفنانين لمضامين البيئة ومدى ارتباط الإنسان بها، إلا أن هنالك قصور في تجسيد مفاهيم التكيف مع الظروف البيئية المختلفة، ودراسة المكان النفسي للإنسان، ومع تطور المجتمعات، اكتسب الفن المعاصر دورًا متزايدًا في استكشاف الروابط العميقة بين الإنسان والطبيعة. يتناول هذا البحث دور الفن المعاصر في تجسيد ارتباط الإنسان بالبيئة الطبيعية، وانعكاسات ذلك الارتباط في سلوك الإنسان وطرق تكيفه في أماكن إقامته المرتبطة بالبيئة، ودراسة تأثير البيئة على سلوك الإنسان، واستكشاف كيف يُسهم الفن في تعزيز الوعي البيئي وإعادة تشكيل نظرة الإنسان تجاه مكان إقامته. اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي لمجموعة من الأعمال الفنية المعاصرة التي تناولت مواضيع البيئة الطبيعية والإنسان، وتحليل عينة قصدية من التجارب الفنية بلغ عددها ٢٣ عملاً فنياً من مجالات فنية مختلفة وحقب تاريخية متباينة، التي تتعلق بسلوك الإنسان وسط البيئة الطبيعية وكيفية تكيفه في أماكن الإقامة المتأثرة بالبيئة، واتضح من خلال تحليل العينة المكانية، أشكال تأثر الفنان بالمكان الطبيعي، فالإنسان البدائي اتخذ من المكان وسيلة للتعزيز النفسي ورصد المخاوف من خلال الرسم على جداران الكهوف، وارتبط تصوير المكان عند الفراعنة بالألوهية والقداسة، وفي فنون حضارة بلاد الرافدين كان للمكان دور في تشكيل الفكر الإنساني، وبالنسبة للفنون الحداثية كان المكان الطبيعي بمثابة المكان النفسي للفنان، يترك أثر وجداني، ويثير الذاكرة العاطفية لدى الفنان. أظهرت النتائج قدرة الأعمال الفنية المعاصرة على تقديم رؤى جديدة لعلاقة الإنسان بالطبيعة، وتنوع الوسائط والأساليب التي وظفها الفنانين في تجسيد علاقة التأثير بين الإنسان والبيئة الطبيعية. خرج البحث بعدد من التوصيات منها: ضرورة تعزيز دور الفن في المناهج الدراسية كوسيلة لفهم العلاقة بين الإنسان والبيئة، وأهمية التركيز على دعم المشاريع الفنية التي تعكس قضايا البيئة والمكان، لما لها من تأثير على تعزيز الوعي المجتمعي.

الكلمات المفتاحية: المكان، البيئة الطبيعية، الهوية المكانية، علم النفس البيئي

الفصل الأول :المقدمة

إن تلك الديناميكية التفاعلية بين الإنسان والمكان، هي ما تؤكد وجودية الإنسان، ذلك الانطباع الحسي الذي يخلفه المكان على الانسان، فالحواس أدوات الحوار لفهم المكان، ذلك الكل ما تشغله الذرات من الفراغ، ما هو إلا محتوى، يستقرئ منه الانسان حاجته، ليتشكل الإدراك الوجودي، بحيث يصبح الإنسان من صميم المكان، ويكون المكان جزء من ذاكرة الإنسان، وتبقى تلك الترسبات العميقة، حتى بعد مضيّ التجربة واغتراب المكان، فالتأثيرات المكانية متفاوتة، ولكن يبقى مكان النشأة والتكوين في مقدمة الذاكرة المكانية للإنسان .(2012) Alaa

والمكان هو ارتباط بين البيئة الطبيعية؛ المعطى الإلهي، والبيئة المشيدة المتعلقة بالإنسان، هذا الارتباط فيما يسمى بأنسنة المكان الطبيعي، أي جملة التغييرات التي يحدثها الإنسان في الطبيعة بتنوع بيئاتها، لها مردود على إنسانية البشر، تشكل سماته، وتثير سلوكياته، وتحدد أفكاره، وتبلور معتقداته. .(2008) .Mudhar

[1] طالبة ماجستير الفنون. جامعة السلطان قابوس
[2] أستاذة فنون- جامعة السلطان قابوس

ويثبت علم النفس البيئي أثر البيئة على سلوك البشر، إذ تختلف استجابات البشر باختلاف البيئة، وتلك الآثار التي يحدثها المكان على سلوك الإنسان الفردية والاجتماعية، يعمق مفهوم المكان لدى الفرد ويصبح مكاناً نفسياً للفرد، أي يلتجأ إليه، ويعتمد عليه، ويصبح ملاذاً يتسم بالخصوصية، يؤثر في سلوكه وبناءه ونموه وشخصيته وصحته وفي اتجاهاته وميوله وذكاءه وعقائده Al-Azzawi, (2009).

والبيئة الجبلية من الأماكن الطبيعية التي تتسم بخصوصية منذ الأزل، وارتبط بها الإنسان البدائي عبر التاريخ، واستمر هذا الارتباط لليوم، فهوم بمثابة مكان للعيش والاتصال، والحرب، ومكان الراحة، والاستجمام والتفريغ الانفعالي، فيحدثنا القران عن منطوق الجبال مع داؤود عليه السلام في قوله " وسخرنا مع داؤود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين" الأنبياء ٧٩، وتشير الآية الكريمة أن للجبال نطقاً وصدى، ويستلذ عليها الإنسان، وكذلك جعل الله الجبال مسكن أمان وحماية للإنسان من المهالك والمصاعب، " وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين" الحجر: .(1982) **Tafsir Ibn Kathir**, and others

كما ارتبطت الجبال بالطقوس والشعائر والنذور عند معظم الشعوب القديمة، فكل عنصر من العناصر الطبيعية التي تبدو مهيبة ذات خشونة كانت تظهر قوة خارقة أمام عجز الانسان، فغالب المقدسات في الأديان نشأت من حاجة الإنسان إلى الطبيعة، والتجارب الصعبة التي موروا بها في التفاعل مع البيئة المحيطة بهم، فارتبط مفهوم الجبل في بعض الأديان بفكرة الألوهية، والقداسة، والبعض منها يرى الجبل كوسيط اتصال بين العوالم، والبعض الآخر يراه رمزية للديمومة مقابل الموت، فاختلفت المعتقدات والرؤى الدينية حول هذا العنصر الطبيعي.

ويأتي الفن بجانب المحاولات الأدبية في توثيق هذا الارتباط بين الإنسان والجبل عبر التاريخ، والتي قد يكون أكثر عمقاً وتجسيداً من الوصف الكتابي الذي يحتمل عدة تأويلات ومداخل، فحاول الفنان القديم في نقل التجربة المكانية بعدة صياغات بصرية، واستمرت الحركة التشكيلية في بيان علاقة التأثير المتبادل بين الانسان والبيئة المحيطة به بشكل عام وذات الطبيعة الجبلية على وجه الخصوص.

مشكلة الدراسة

توجد علاقة تبادلية التأثير بين الإنسان والبيئة الطبيعية (المكان)، اذ تسهم البيئة في تشكّل سلوك الإنسان وتطبع فكره، وهويته، وفيزيولوجية، وتحدد فلسفته، وأساطيره، وأديانه، وشكل معماره، فيما يسهم الإنسان في إضفاء خصائص إنسانية على فضاء البيئة. ويُعد الفن المعاصر وسيلة تعبيرية قوية تعكس علاقة الإنسان بالبيئة الطبيعية، اذ بالرغم من تناول الكثير من الفنانين لمضامين البيئة ومدى ارتباط الإنسان بها، إلا أن هنالك قصور في تجسيد مفاهيم التكيف مع الظروف البيئية المختلفة؛ لذا يأتي البحث لدراسة علاقة المكان النفسي للإنسان، مع تطور المجتمعات، اكتسب الفن المعاصر دورًا متزايدًا في استكشاف الروابط العميقة بين الإنسان والطبيعة.

أسئلة الدراسة

1. تقصي الممارسات الفنية عبر التاريخ التي جسدت علاقة التأثر والتأثير بين الإنسان والمكان.
2. كيف عبر الفنان المعاصر عن علاقة التأثير والتأثر ببين الإنسان والمكان.
3. ما إمكانات التعبير الفني المعاصر في تجسيد ارتباط الإنسان بالمكان ذو الطبيعة الجبلية.
4. ما هي المداخل المعاصرة للتعبير عن ارتباط الانسان بالمكان ذو الطبيعة الجبلية.

أهمية الدراسة

1. يمكن اعتبارها مرجعاً فكرياً بصرياً يستعين به الطلبة والباحثين في بناء تكوينات فنية مبنية على أسس ومضامين ثقافية مرتبطة علاقة التأثر والتأثير بين الإنسان والمكان.
2. يمكن أن تقدم تحليلات وتفسيرات وأمثلة لدلالات رمزية حول المكان الطبيعي وتأثيره على الإنسان يفيد الباحثين في نفس المجال.

أهداف الدراسة

1. تقصي الممارسات الفنية عبر التاريخ الفني التي عبرت عن ارتباط الإنسان بالمكان الطبيعي الجبلي.
2. فهم كيف يستجيب الفن المعاصر لقضايا التأثر والتأثير بين الإنسان والمكان الطبيعي.
3. إيجاد مداخل معاصرة للتعبير عن علاقة الإنسان بالمكان الطبيعي الجبلي.
4. دراسة الكيفية التي تظهر فيها التأثيرات المتبادلة بين الإنسان والمكان الطبيعي، الجبل نموذجاً.
5. استكشاف كيف يُسهم الفن في تعزيز الوعي البيئي وإعادة تشكيل نظرة الإنسان تجاه مكان إقامته.

حدود الدراسة

حدود موضوعية: البيئة الجبلية كمكان يرتبط به الإنسان ويتأثر به ويؤثر فيه.

مصطلحات الدراسة

المكان، البيئة الطبيعية، الهوية المكانية، علم النفس البيئي، التأثير، التأثر

منهجية الدراسة، والعينة

تتبع الدراسة الحالية المنهجية الوصفية التحليلية، من خلال وصف وتحليل مجموعة من الأعمال الفنية المعاصرة التي تناولت مواضيع البيئة الطبيعية والإنسان، بالإضافة إلى مراجعة الأدبيات السابقة المتعلقة بدور الفن في تمثيل العلاقة التبادلية بين الإنسان والطبيعة، وتم تحليل تجارب فنية تتعلق بسلوك الإنسان وسط البيئة الطبيعية وكيفية تكيفه في أماكن الإقامة المتأثرة بالبيئة.

المجتمع والعينة

يتكون مجتمع الدراسة من مجموعة من الأعمال الممتدة عبر التاريخ الفني إلى الاتجاهات المعاصرة، اشتملت على عينة قصدية من (١٣) عمل فني لـ١٣ فنان من الفن القديم للمعاصرة.

الفصل الثاني :الدراسات السابقة

في دراسة (AlHarbi، 2024) بعنوان "فلسفة الايكولوجيا الاجتماعية وأثرها على أعمال مصورين من المدرسة التكعيبية" التي هدفت إلى الكشف عن فلسفة الايكولوجيا الاجتماعية وتأثيرها في أسلوب الفنانين التكعيبين، والبحث في مفهوم الايكولوجيا بالتحديد، بدراسة السمات المباشرة والغير المباشرة التي تظهر على جماعة بشرية بفعل تأثير البيئة الطبيعية المحيطة، والبحث في حساسية الفنان لذلك الارتباط الحسي المجرد وتجسيده بصرياً، حيث اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي في تحليل مختارات من الأعمال التصويرية لفناني التكعيبية، والعينة المختارة أظهرت تأثيرات بيئات متعددة على سلوك الإنسان لمنطقة ما، تمثلت في التكوين الاجتماعي والبعد السياسي والبيئة الطبيعية، كلاً تجسد بطريقة توازي الصورة الحسية التي يرسمها الفنان في مخيلته، وتظهر العينات الخصائص الفنية التي يعمل بها التكعيبيون، إذ يميلون للتعبير التجريدي الهندسي، والتكرار وتراكب المفردات، للتأكيد على العالم الحسي الذي يراه الفنان نتيجة تلك التفاعلات والارتباطات بين الإنسان وبيئته، وأظهرت نتائج الدراسة بقدرة فناني المدرسة التكعيبية على التعبير عن مفاهيم جديدة لفلسفة الايكولوجيا الاجتماعية السائدة، إذ وجدوا في الشكل الهندسي جمالاً جوهرياً لبلوغ الرؤية الواعية لعلاقة الانسان بالبيئة.

وهدفت دراسة (Ali :2022) إلى استكشاف جماليات التصميم في الفن البيئي الإيكولوجي، مع التركيز على العلاقة التبادلية بين الإنسان والبيئة وتجسيد هذه العلاقة في الفنون المعاصرة، علاوة على ذلك تم التطرق في الدراسة على قضايا البيئة المتمثلة في التلوث والاستدامة البيئية، ودور الفن في التوعية المجتمعية، لخلق بيئات مستدامة للمجتمع الإنساني، واتبعت الدراسة المنهج

الوصفي التحليلي في تحليل عينة من الأعمال الفنية المرتبطة بموضوع البحث، والتي من خلال رؤية الباحثة تعزز فكرة التفاعلات القائمة بين الإنسان والبيئة، وتطرقت الباحثة في الأطر النظرية لجملة من المبادئ التي يستند إليها التصميم البيئي ويتبعها الفنان عند إنشاء العلاقات الفنية بين عناصر العمل الفني الواحد، تلخصت نتائج الدراسة في أن الفن الإيكولوجي تجاوز حدود الفن التقليدي ليصبح أداة تفاعلية مع الأرض والبيئة، مؤكدًا أن تدخل الإنسان قد يكون إيجابيًا في الطبيعة، وساهم هذا الفن في لفت الانتباه إلى أهمية الطبيعة، منتقدًا ثقافة الاستهلاك والتمدن الصناعي، واستخدم الفنان الإيكولوجي أساليب ما بعد الحداثة للتعبير عن مشكلات البيئة واستعادة التوازن الإيكولوجي، إلى جانب وصول الدراسة إلى دلالات فنية، إذ ركزت الأعمال الفنية على توظيف خامات الطبيعة والنفايات كوسيلة نقدية لإبراز الاستنزاف البيئي، واستخدمت التصاميم الإيكولوجية لغة بسيطة ومبتكرة، تدعو إلى العودة للطبيعة، وتوصي الباحثة إلى ضرورة تفعيل دور الجهات المعنية في دعم الفنون البيئية والتصاميم الإبداعية المراعية للاستدامة، وتمثل الدراسة مرجعًا هامًا للدراسات المستقبلية التي تسعى لفهم وتطوير العلاقة بين الإنسان وبيئته عبر الفن.

كما هدفت دراسة Al Kaabi, (2019) الموسوم "الايكولوجيا في الفن الأوروبي القرن ١٢- ١٩م" إلى تحليل مظاهر الإيكولوجيا في الفن الأوروبي بين العصور الوسطى والفن الرومانسي، ودراسة الكيفية التي يمثل بها الفنانون بيئاتهم وتأثير البيئة على النتاج الفني. فقد تناولت الدراسة العلاقة المتبادلة بين الإنسان والمكان البيئي وتجسيدها في الفنون الأوروبية خلال القرون من الثاني عشر إلى التاسع عشر، موضحة التحولات الإيكولوجية في الفن عبر الحقب المختلفة، وأشارت الباحثة أن بداية علاقة الفنان بالبيئة الطبيعية هي محاولته لإدراك وجوده وسط هذه التركيبات الطبيعية والمحاولة في التكيف ثم ترجمة الحالة النفسية والعاطفية تجاه محيطه. اعتمدت الدراسة على المنهج التحليل الوصفي والتحليل المضموني لعينة من أعمال فنانين بين العصور الوسطى والعصر الحديث، شملت عينة البحث خمسة نماذج فنية تم تحليلها بناءً على مؤشرات الإطار النظري، وخلصت الدراسة إلى عدة نتائج من ضمنها: أن العلاقة الإيكولوجية بين الفنان والبيئة تختلف بحسب العصر، ففي العصور الوسطى، هيمنت الرمزية والتمثلات الماورائية، حيث كانت البيئة تصور كرموز دينية ومثالية بعيدة عن الواقع الحسي، وفي عصر النهضة، ظهرت الطبيعة كعالم واقعي يعكس القيم الدنيوية الجديدة، وفي العصر الباروكي، ركز الفن على التفاصيل الحسية والأنماط الجمالية، وبرزت العلاقة التفاعلية مع البيئة لتلبية متطلبات نفسية وجمالية، وعكست الأعمال الفنية في العصر الرومانسي، الشعور بالهيبة والوحدة مع الطبيعة، مع توظيف البيئة كوسيلة للتعبير عن العواطف والرؤى الفلسفية. ويستنتج الباحث أن الفن مرآة لعلاقة الفنان بمحيطه البيئي، تتجلى هذه العلاقة في التوازن بين الواقع والطموحات الروحية، وأن الإيكولوجيا الفنية تبرز كمنظومة فكرية تعكس فهم الفنان للبيئة واستخدامه لمكوناتها بشكل جمالي وابداعي.

الفصل الثالث: حضور الجبل في الأعمال الفنية التاريخية

علاقة الإنسان بالجبل كانت جزءًا أساسيًا من تطوره التاريخي والثقافي، حيث لعبت الجبال دورًا محوريًا في حياة الإنسان القديم كملجأ وحماية له من الظروف الطبيعية والحيوانات المفترسة، هذه العلاقة استمرت في التأثير على أشكال التعبير لدى الإنسان البدائي، بداية في فن توثيق الأحداث على الحوائط الصخرية، ورصد المخاوف، واستمداد القوة والتمكن من رسوماته على جدران الكهوف، إلى حزمة الأساليب التعبيرية المعاصرة التي يمارسها الإنسان في الوقت الراهن .Naima, Azzi (2021)

في العصر الحجري، استخدم الإنسان الكهوف كمأوى، وبناءاً على رغبة الانسان الفطرية، بمليء الفراغ، وإضفاء صبغة إنسانية في المكان، عمد على تزين جدران الكهوف برسوم وصور تجسد شكل الحياة وتفاعلاته مع المحيط الطبيعي الذي يحيق به، ولعل أبرز الشواهد على ذلك الرسوم الموجودة في كهوف "التاميرا" بإسبانيا و" لاسكو" في فرنسا، كان الغرض من هذه الرسوم في الأغلب رمزيًا أو دينيًا، حيث تشير الدراسات إلى أنها قد تكون مرتبطة بطقوس الصيد أو مظاهر البقاء على قيد الحياة. فن الكهوف أظهر قدرة فنية فطرية، ركزت على الحياة البيئية وتجارب الإنسان مع الطبيعة. .Hauser, Arnold. (2005)

ومع كل المحاولات الحثيثة للإنسان بغية التكيف والبقاء على قيد الحياة في الأماكن التي يأهلها، كوّن ذلك لا شعورياً روابط وانفعالات وانتماء بين الإنسان والمحيط الطبيعي، وسعى إلى تمثيل تلك الروابط والتجارب فنياً، يقول جاريد دايموند في كتابه الشمبانزي الثالث أن "الفن هو أحد سماتنا البشرية الأساسية"، ومع تطور الحضارات، تغيرت أشكال التعبير الفني، لكن ارتباط

الإنسان بالجبل استمر، ففي الفنون القديمة، ظهرت الجبال كرموز للقوة والثبات، بينما في الفن الحديث والمعاصر استُخدمت كمصدر إلهام لإيصال مشاعر الإنسان وتحدياته، مثل أعمال الفنانين التعبيريين الذين استخدموا الجبال كرمز لصراعات داخلية وخارجية(Woolfe ,2024).

ربما يمكن إرجاع أقدم ظهور للجبل في قالب تعبيري يمكن تتبعه، يعود إلى الفنون الصخرية والنقوش التي وجدت في حضارات بلاد ما بين النهرين ومصر القديمة، وبناءاً على تحليلات علمية منطقية دقيقه، وجد أن حضور الجبل في الأسلوب التعبيري لدى الانسان القديم في بلاد ما بين النهرين يرمز إلى القوى الإلهية، الشاهد على ذلك العثور على عدة ألواح حجرية أظهرت شكل الجبل في تمثيل القوة والسيطرة الإلهية، فكان ارتباط الفنان بالطبيعة والجبل موسوم بالرغبة في التمجيد وطلب العون والقوة، وكان لارتباط الإنسان المصري القديم بالطبيعة مكفولاً بالوجدانية، فتجسدت مضامين الجبل في نقوش المقابر والمعابد بالروحانية وارتباطه بمفاهيم الآخرة والخلود، حيث كان الجبل يرمز إلى المكان الذي تعبر منه الروح إلى العالم الآخر(Harte, 2000).

وتربط الإنسان علاقة قديمة وعميقة بالطبيعة تجلت في التعبير الفني القديم، حيث كانت البيئة الطبيعية مصدر إلهام أساسي يعكس احتفاء الإنسان بمحيطه البيئي وقدسيته.

أحد أبرز الشواهد على هذا التفاعل الفني مع الطبيعة هي لوحة النقش الجداري البارز " الربيع الجدارية" (شكل ١)، من مدينة أكروتيري المينوية في جزيرة ثيرا (سانتوريني الحالية) اليونان، التي تعود إلى القرن السابع عشر قبل الميلاد، تصور اللوحة منظراً طبيعياً ساحراً يعج بالحياة، حيث تتفتح زهور الزنابق الحمراء بين الصخور البركانية الملونة، بينما تحلق طيور السنونو في السماء، مما يشير إلى عودة الربيع وحيوية الحياة الطبيعية، زينت هذه اللوحة الجدارية ثلاث جدران من غرفة دلتا2 بالمتحف الوطني الأثري بأثينا في اليونان، التي يعتقد أنها كانت مخصصة لأداء الطقوس الدينية، مما يبرز العلاقة الرمزية بين الفن والطبيعة في سياق ديني(Poursat,2022).

أظهرت اللوحة تصويراً نادراً للعلاقات بين الكائنات الحية، حيث تبدو طيور السنونو في حالة عاطفية، وهو تصوير فني يرمز إلى مشاعر الحب والغريزة الطبيعية للتكاثر، في إشارة غير مباشرة للعلاقات الإنسانية، مما يعزز فكرة تناول الطبيعة كرمز للحياة والتجدد (Harte, 2000).

وبناءً على تحليلات وتفسيرات من مؤرخين ودراسات أثرية، تبين أن "لوحة الربيع الجدارية" تقدم واحدة من أقدم الأمثلة على استلهام الفنانين من الطبيعة بشكل مباشر، استخدمت الأصباغ المستخلصة من مواد طبيعية مثل المغرة والجص الجيري والأزرق المصري، مما يعكس معرفة المينويين بالبيئة المحيطة وتقنياتهم المتطورة في الفن. هذه اللوحة ليست مجرد عمل فني أثري، بل شهادة على تقديس الطبيعة في الحضارة المينوية، وتجسيد لفكرة أن الحياة، رغم بهجتها، ليست دائمة (Rousopoulos, et.al, 2011).

يُظهر اكتشاف هذه اللوحة أهمية الفن كوسيلة لفهم طبيعة العلاقة بين الإنسان والبيئة في العصور القديمة، حيث لعبت الطبيعة دوراً جوهرياً في التعبير عن القيم الدينية والاجتماعية، مما يبرز تأثيرها العميق على تطور الفنون والثقافات.

(شكل ١): لوحة النقش الجداري البارز" الربيع الجدارية" (القرن السادس عشر قبل الميلاد)، المتحف الأثري الوطني، مجموعة آثار ما قبل التاريخ، أكروتيري، ثيرا، مجمع دلتا، الغرفD2.

شهدت المرحلة الأكادية ثراء فني إبداعي عميق، الذي وصل إلى إحدى قمم الإنجاز الفني في تاريخ فن بلاد ما بين النهرين، وحتى في تاريخ الفن العالمي، واحدة من أشهر الأعمال الفنية في هذه الفترة هي نصب نصر الملك "نارام سين"(2254–2218 ق.م) (شكل٢)، نصب تذكاري من الحجر الجيري يبلغ ارتفاعه حوالي مترين يوضح انتصار نارام سين على اللولوبي، تم اكتشاف الشاهد في عام 1898 أثناء الحفريات التي قادها السيد جاك دي مورجان في الأكروبوليس في سوسة، حيث تم أخذها كغنيمة حرب من مدينة سيبار من قبل الملك العيلامي، وهي تزين أحد غرف متحف اللوفر اليوم (Hansen,2003).

تُعد لوحة نصر الملك "نارام سين"، واحدة من أبرز الأعمال الفنية التي تعكس التأثيرات المتبادلة بين الإنسان وبيئته، وبيان رمزيته، وتأكيد أساطيره، فاللوحة النحتية البارزة ليست مجرد سجل تاريخي لانتصار عسكري، بل باعتبارها شاهد على الطريقة التي يستلهم الانسان القديم من البيئة المحيطة لتجسيد فكره وتأطير عقيدته وتوثيق الأحداث. تصور اللوحة الملك نارام سين، حفيد سرجون الأكادي، وهو يتسلق قمة جبلية، رمزية لهيمنته وسلطته المطلقة وتمثيلاً للمجد المحقق في هزيمة الشعب اللولوبي، والتشديد على الطبيعة الوعرة التي استطاع الملك تخطيها في الحرب محققاً النصر، والدليل الآخر على دور البيئة الطبيعية في تشكيل الفكر الإنساني والتكوين العقائدي، ظهور الملك في قمة الجبل متقدمًا بخطى واثقة فوق جثث أعدائه، وكأنما يتسلق نحو السماء، يشير إلى ايمان الأكاديين باتصال الملك بالآلهة وتعزيز تمجيده، هذا التصوير يربط بين صعود الملك الجبل ورمزية الزقورات الرافدية، التي اعتُبرت سلمًا للتواصل بين الآلهة والإنسان، إضافة إلى ذلك، يبرز الملك مرتديًا خوذة ذات قرون، رمز الألوهية الأكادية، ليؤكد ارتباطه بالقوى الإلهية التي ساعدته في تحقيق النصر، والتي تمثلت في النجوم والشمس التي تعلو المشهد، اذ يعكس النحت عمق العقيدة الأكادية التي ترى في النصر العسكري تأييدًا إلهيًا، وفي الملك امتدادًا للقوة السماوي .(2020) .Haider

رسخت القطعة الفنية النحتية، فكرة انتفاع الفنان من الظواهر الطبيعية واسقاطها على الممارسة الفنية، فنُفذت الشخوص بأسلوب بارز يعكس التفاوت في مستويات النحت، من الغائر إلى المتوسط إلى الخفيف، ما خلق جمالية ضوئية فريدة عند النظر إلى اللوحة من زوايا مختلفة، الشاهد على إمعان الفنان القديم في التغيرات البيئية الطبيعة، بتمثيل سقوط الضوء على تباين ارتفاعات الجبل وخلق أبعاد ضوئية للنحت البارزة (Renate,2017).

(الشكل ٢): نصب نصر الملك نارام سين (٢٢٥٤ - ٢٢١٨ ق.م)، سيبار، أكروبوليس، متحف اللوفر، قسم الآثار الشرقية.

يُرجح أن الملوك الأكاديين اصطحبوا معهم الفنانين والكتّاب خلال حملاتهم الحربية لتوثيق الأحداث بشكل مباشر، هذا التوثيق الواقعي، سواء من خلال تصوير البيئة الطبيعية أو إبراز مشاهد القتال، أضفى على اللوحة مصداقية عالية، ويجسد هذا العمل الفني تأثير الجبل في تشكيل العقائد والأساطير والتوجهات الفكرية، الجبل هنا لم يكن مجرد عنصر طبيعي، بل رمز للارتقاء والسلطة، بينما عكست عناصر اللوحة الأخرى مثل النجوم، وأزياء الجنود، وحركة الأعداء، التفاعل المعقد بين البيئة والطبيعة البشرية (Zucker& Harris,2024).

وتستمر النظرة الرمزية للجبل كمكان مقدس ارتبط به الانسان المصري القديم، اذ ظهرت الجبال كرموز للمقدسات في النقوش على جدران المقابر والمعابد، والمتصفح لكتاب الموتى () (شكل ٣) يجد في أحد الصفحات، شكل هرمي يتوسط أحد الطقوس التي يمارسها الفراعنة، قد يشير الشكل الهرمي للأهرامات التي يعتبرها المؤرخين رمز للبعث والخلود، انعكاس لفكرة الصعود إلى السماء، والأهرام بفضل شكلها وارتفاعها قد تكون مستوحاه من شكل الجبال التي كانت تُرى كأماكن قُدسيّة وسكنى للآلهة، اذ يُشار للهرم في النصوص الجنائزية كجبال مقدسة تربط الأرض بالسماء وتجسد العبور إلى الحياة الآخرة .(2019) .Al-Ja'ali,and others

وفي أحد رسوم كتاب الموتى، يظهر المشهد الرمزي للجبل، تمثيل بصري كطريق للروح نحو الحياة الأبدية، ويصوّر أوزوريس، إله العالم السفلي، وهو يستقبل الأرواح على العرش، في مشهد يوحي بالصعود أو المرور إلى الأبدية، إذ يمثل الجبل في المعتقد الفرعوني الحد الفاصل بين عالم الأحياء وعالم الموتى باعتباره معبراً روحانياً، ولا نغفل تجسيد الفنان المصري القديم العلاقة بين الرمزيات الشكلية لعناصر

الطبيعة المتمثلة في الصلة القائمة بين الشمس والجبل تعبيراً عن فكرة الألوهية كآلهة "حتحور" التي ارتبطت بالجبال كحامية للموتى ومرافقة لأرواحهم، وآلهة قرص الشمس "رع" تمثيلاً للرحلة الأبدية التي يحظى بها الملوك في المعتقد المصري القديم ,Mohamed Shaimaa (2024)

الجبل في الحركات ما قبل الحداثة والعصر الحديث وما بعده

في العصور ما قبل الحداثة، يتسم الحراك الفني بالتركيز على القيم التقليدية، وتوظيف الفن في خدمة السلطة والدين، ويُنظر للمكان الطبيعي حداً للاتصال الروحي بالمعبود، وظهر هذا الاعتقاد جلياً في الديانة المسيحية، ارتباط الطبيعة بالوحي الإلهي، الشاهد على ذلك، التوجه الفكري للفنان ليوناردو دا فيشي(Leonardo da Vinci)، رائد عصر النهضة، فقد عبر من خلال الطبيعة عن فكرة الصعود الروحي نحو الإله، اتضح ذلك جلياً في لوحة (عذراء الصخور، ١٤٨٣) (The Virgin of the Rocks,1483) (شكل ٤)، اذ تُعتبر اللوحة إحدى أبرز أعمال ليوناردو دافنشي التي تُجسِّد عبقريته الفنية والتقنية، تُظهر اللوحة العذراء مريم مع الطفل يسوع، والملاك، في مشهدٍ يكتنفه الغموض والسحر وسط مناظر طبيعية صخرية(.(1993) .Kenneth. C

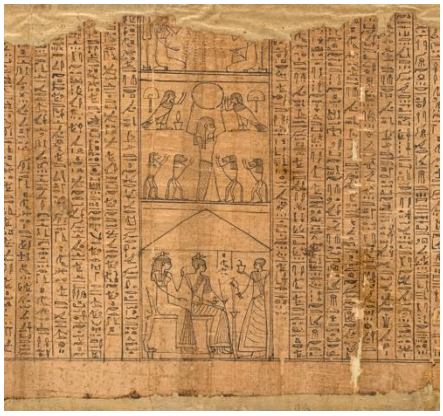

بردية كتاب الموتى، ابن تابر،

يتسم المشهد الطبيعي في اللوحة بوجود تراكيب صخرية مهيبة ذات تفاصيل دقيقة، وهي عنصر محوري ليس فقط في التكوين البصري، بل أيضًا في المضمون الرمزي. دافنشي كفنان وباحث في الطبيعة، استلهم هذه الخلفية من شغفه بالتضاريس الجبلية، التي كان يُراقبها ويُسجلها بدقة في رسوماته ودراساته الجيولوجية، يبدو أن ظهور التضاريس الجبلية في اللوحة تعكس تأثر دافنشي بالطبيعة المحيطة بمنطقة لومبارديا الإيطالية التي تتميز بطبيعتها الجبلية، والجدير بالذكر أن ظهور التراكيب الصخرية في اللوحة ليس عشوائيًا، بل يرتبط بفكرة الوحي الإلهي في الطبيعة، فبالنسبة لدافنشي كانت الطبيعة انعكاسًا للجمال الإلهي، والجبل والصخور يرمزان إلى الثبات والخلود، مما يجعل الخلفية الطبيعية امتدادًا معنويًا للمشهد المقدس، كما أن التكوينات الصخرية تُعزِّز أجواء الغموض والرهبة، وتُلفت النظر إلى الطابع الروحاني العميق للعمل(.(1981) .Martin, K

دافنشي دمج الطبيعة في فنه بأسلوب لم يكن شائعًا بين فناني عصره، في العذراء والصخرة، تظهر الخلفية الجبلية كعنصر رئيسي بحد ذاته، اذ تساهم في إيصال المعاني الرمزية للعمل، من وجهة نظر دافنشي، تخلق الجبال توازنًا بين العالمين الأرضي والروحي، فالمسيحيون يؤمنون بأن الجبال المرتفعة تُشير إلى الصعود الروحي نحو الله، والتكوينات الصخرية العميقة تُمثِّل السر الإلهي والخفاء، نقل دافنشي هذه الرؤية الدينية والتأمل الروحي من خلال هذه اللوحة والعلاقات الكامنة بين عناصرها.

فيرمز الجبل في هذه اللوحة إلى القرب من الله، حيث إنه كان يُعتبر في المسيحية رمزًا للتجلي الإلهي والوحي المقدس، كما يُشير الجبل إلى الخلود والثبات، مما يعكس أبدية القيم الروحية التي تحملها الشخصيات المقدسة في اللوحة، علاوة على ذلك، يمكن تفسير الجبل كرمزٍ للمعاناة الروحية والتحدي، وهو مفهوم يتماشى مع العقيدة المسيحية التي ترى في العذراء مريم وأمومتها معاناة مقدسة، والصخور، بطبيعتها القاسية والهشة، تُعبِّر عن تعقيد الحياة البشرية، حيث تحمل الشخصيات المقدسة رسالة خلاص وسط عالم مليء بالتحديات والصعوبات.

تُعتبر لوحة (عذراء الصخور) تجسيدًا لعبقرية ليوناردو دافنشي في المزج بين الفن والطبيعة، حيث استثمر معرفته بالجيولوجيا والرمزية المسيحية لخلق عمل متكامل روحانيًا وبصريًا، الجبال والتراكيب الصخرية ليست مجرد عناصر زخرفية، بل تحمل دلالات رمزية عميقة تُبرز العلاقة بين الإنسان والطبيعة والإيمان بالوجود الإلهي (Richter,2008).

يؤيد الفنان ديفيد فريدريش (Caspar David Friedrich) القالب الروحي الذي يربط الانسان بالجبل، كرمز للسمو الروحي والقداسة، ففي لوحة "الصليب في الجبال" (The Cross in the Mountains)، والمعروفة أيضًا باسم "مذبح تيشين" (The Tetschen

Altar) (شكل ٥)، صوّر الفنان صليبًا خشبيًا على قمة جبل تحيط به أشجار الصنوبر وشمس الغروب، مما يمنحها بعدًا رمزيًا ودينيًا عميقًا (Koerner, 1990).

وكما أوردنا مسبقاً، وبناءاً على الشواهد والأدلة، يُعتبر الجبل في الديانة المسيحية رمزًا للسمو والاقتراب من الإلهي، في اللوحة، يمثل الجبل مكانًا مقدسًا يعلوه الصليب، مما يرمز إلى التضحية والخلاص المسيحي، الطبيعة المحيطة بالصليب تعكس فكرة أن الإله حاضر في العالم الطبيعي، وهو مفهوم محوري في فكر الرومانسية، ويبرز الجبل في اللوحة كمساحة معزولة وهادئة، مما يعكس رغبة الإنسان في الانفصال عن العالم المادي للبحث عن المعنى الروحي، واختيار فريدريش للجبل يعكس التوجه الرومانسي نحو الطبيعة كملاذ للتأمل وتوحيد الذات مع الكون، ولا نغفل الصليب المرتكز على قمة القبل، يمكن أن يُفهم كإشارة إلى معاناة المسيح وصموده، بالإضافة إلى التحديات التي يواجهها الإنسان في رحلته الروحية (Koerner, 1990).

(شكل ٤) عذراء الصخور، ليوناردو دافنشي، ليوناردو دافنشي، 1483، لوحة زيتية على الخشب، 189.5 × 120 سم، المعرض الوطني، الغرفة 9.

(شكل ٥)، ديفيد فريدريش، الصليب في الجبال، 1807

تأثر الواقعيون والتأثريون والانطباعيون بالبيئة المحيطة، تجلى ذلك في الإنتاج الفني بالقرن العشرين، اذ نجد المكان الطبيعي المرتبط بنشأة الفنان موثق ومجسد بأساليب فنية عديدة وبوفرة، الفنان بول سيزان(Paul Cézanne) أحد النماذج على ارتباطه بالمكان الطبيعي الذي عاش فيه، فكانت من أبرز الموضوعات التي تناولها سيزان الفرنسي في أعماله، جبل سانت فيكتورا (Mont Sainte-Victoire) (شكل ٦)، رسم سيزان هذا الجبل في سلسلة من اللوحات التي تعكس ارتباطه العميق بالمشهد الطبيعي المحيط به، وتُظهر تطور أسلوبه الفني وتأثيره على الحركة الفنية في القرن العشرين، إذ تعتبر هذه اللوحات جسراً للتحول التكعيبي لاحقاً، وذلك بسبب الأسلوب الفني المتبع في تصوير الجبل، الذي يكون أقرب إلى تجزئة المساحات اللونية، وتفكيكها هندسياً بواسطة الألوان.(Robert Morris, (1998 .

ولان الفنان سيزان وُلد في مدينة إكس أون بروفانس (Aix-en-Provence) بجنوب فرنسا، حيث يُشرف جبل سانت فيكتورا على المنطقة، هذا القرب الجغرافي أتاح له فرصة التأمل المستمر في هذا الجبل، مما جعله مصدر إلهام رئيسي في أعماله، بدأ سيزان رسم هذا الجبل في ثمانينيات القرن التاسع عشر واستمر في ذلك حتى وفاته عام 1906، مما يعكس ارتباطه العميق بهذا المكان (Venturi, 1937).

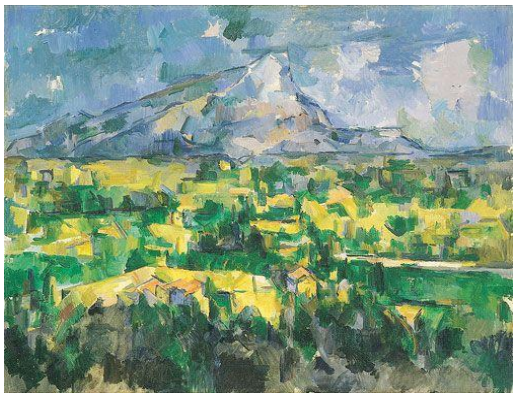

(الشكل٦) بول سيزان، مونت سانت فيكتوار، (1902-1904)، زيت على قماش، 27 ½ × 35 ¼ بوصة، متحف فيلادلفيا للفنون.

في سلسلة جبل سانت لسيزان، يظهر الجبل ثابتاً ومستقراً مقابل التغييرات المستمرة في الضوء والمناخ، قد يكون تعبيراً عن حاجة شعورية لدى الفنان، يستمد منه القوة والثبات، وتجسد اللوحات تأثر الفنان بحالة التفاعل بين الضوء واللون، اذ اهتم سيزان بتأثير الضوء على الألوان وكيفية تغيّر المشهد بتغير الظروف المناخية، وتعكس تنوع الألوان ذلك التفاعل الديناميكي، وتعددية ظهور هذا الجبل في أعمال سيزان لا يمكن أن تكون نتاج رؤية ثابته تغلف بالكامل ما يود سيزان تصويره، وإنما اختلاف رأي سيزان وتجدده اتجاه هذا الجبل، ومنظوره الشخصي له، وزوايا رؤيته هي ما أدت إلى هذا الإنتاج الوفير لنفس العنصر الطبيعي، وهذا ما يشهد على الارتباط الوثيق وولاء سيزان لهذه البقعة الطبيعية (Smith,2003).

ولذا تُعد لوحات بول سيزان لجبل سانت فيكتوار تجسيدًا لبحثه المستمر عن فهم الطبيعة وترجمتها إلى لغة فنية جديدة، ومن خلال هذه الأعمال، نجح سيزان في تقديم رؤية فريدة للعالم الطبيعي، مما جعله أحد الرواد المؤثرين في تطور الفن الحديث.

وعبر الفنان كاتسوشيكا هوكوساي (Hokusai) عن قداسة جبل فوجي بسلسلة من ٣٦ لوحة لمنظر الجبل(Thirty Six Views Of Mount Fuji) (شكل٧) من زوايا عديدة ومتغيرات كثيرة، تُعد هذه السلسلة الفنية من أشهر الأعمال الفنية التي تحتفي بالجبل كرمز مقدس وجزء من الهوية الثقافية للمدينة العائمة اليابان، إذا ما زالت تحتفظ بخصوصيتها التقنية ليومنا هذا، الشاهد على ذلك الكتابات التحليلية حولها من الباحثين حول العالم، ترتبط هذه السلسلة ارتباطًا وثيقًا بثقافة ومعتقدات اليابان، حيث يعد جبل فوجي رمزًا للهوية الوطنية والروحية في اليابان، يرى الباحثون مثل Forrer (2019) أن علاقة هوكوساي بجبل فوجي ليست فقط علاقة بصرية، بل تتجاوز ذلك إلى كونها علاقة رمزية وروحية، هوكوساي استخدم الجبل كعنصر ثابت في لوحاته بينما تتغير المناظر والمناشط والممارسات البشرية المحيطة به، مما يعكس استمرارية الزمن وثبات القيم في مواجهة تقلبات الحياة.

يعتبر جبل فوجي مقدسًا في الثقافة اليابانية منذ قرون، وله ارتباط وثيق بالشنتوية والبوذية، يُنظر إليه على أنه مسكن للآلهة (kami) في الشنتوية، ومكان تأمل تقربي في البوذية، في هذا السياق، استخدم هوكوساي الجبل كرمز للتنوير الروحي والسعي لتحقيق الانسجام مع الطبيعة، علاوة على ذلك كان جبل فوجي يظهر كرمز للوحدة الوطنية بسبب موقعه المركزي وجماله الفريد، فكانت لوحات هوكوساي تعزز الهوية الثقافية في ظل العزلة الوطنية، ويفصل Smith(1988) الأهمية القدسية للجبل في الثقافة اليابانية عن ما يمثله الجبل لدى هوكوساي شخصياً، فيرى بأن عمق تعلق هوكوساي بجبل فوجي كموضوع لم ينبع في المقام الأول من حس قومي أو سياق العبادة، بل هو في المقام الأول نتاج هوس هوكوساي بالواقع الأساسي للشيخوخة، ومنظوره الشخصي للشيخوخة، ورغبته في تحقيق الخلود، وغالباً ما كان يعرّف نفسه بأنه "رجل عجوز" في توقيعاته للوحاته، . فوفقاً للخرافات الدينية القديمة، كانوا يعتبروا جبل فوجي رمز لسر الحياة الأبدية.

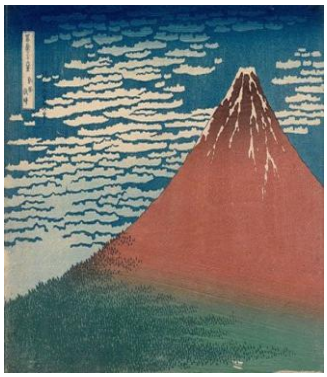

(شكل ٧) الرياح الشمالية، السماء الصافية، من سلسلة الـ ٣٦ منظر لجبل فوجي، ١٨٣٠، اللوحة رقم ٣٢، طباعة خشبية بالحبر والألوان على ورق، (٢٤.٤سم * ٣٥.٦سم)

عند العلماء النفسيين، يترك المكان في حياة الانسان آثار سلوكية فردية واجتماعية، فيما يسمى بالمكان النفسي للفرد، والذي يتسم على العموم بالخصوصية، فهنالك احتياج بشري لأن يقضى الإنسان بعض من وقته في مكان يحاور فيه ذاته، ويكون أقرب لنفسه أو لشخص آخر يشاركه المكان. فقد اتبع مثلاً أنسيل آدامز (Ansel Adams) مبدأ اللجوء للمكان الطبيعي، لإحياء لحظات من الذاكرة وشعوره بذاتيته واجتماعيته في ذات الوقت، فقد رافق عائلة صديقه جوزيف نيسبت ليكونت(Joseph Nisbet LeConte) في رحلاتهم الصيفية في أعالي يوسمايت في منتصف عشرينيات القرن العشرين، بهدف ممارسة رياضة تسلق جبال سييرا، ثم عاد بعد سنوات لنفس المكان، وهو مصور محترف، إذ أعاد لحظة الدهشة التي تلقاها في أول زيارة له للجبل، والتقط الصورة الفوتوغرافيةMonolith, the Face of Half Dome (شكل ٨)، أحد أبرز أعماله التي تظهر الجبل بجمالية درامية، تبرر الأثر الوجداني الذي تركه المكان في نفس الفنان(Hammond ,1999).

ارتبط آدامز بحديقة يوسمايت منذ زيارته الأولى لها في عام 1916، حيث تأثر بجمالها الطبيعي، وهو ما دفع شغفه بالرجوع إلى التصوير الفوتوغرافي، بعد انقطاعه لسنوات لأسباب مهنية، وكانت هذه التجربة نقطة تحول في حياته، حيث وجد في الطبيعة مصدر إلهام وراحة نفسية، فأراد توثيق الجمال الطبيعي للوجه الشاهق بجبل "هاف دوم" ، حيث رأى فيه رمزًا للقوة والجمال الطبيعي، فأنتج صورة فوتوغرافية تميزت بالدقة والتفاصيل والقدرة على نقل المشاعر المرتبطة بالمكان، أنتج آدمز الصورة بتقنيات تصويرية مبتكرة، مثل "نظام المناطق" (Zone System)، لتحقيق التباين المثالي والتفاصيل الدقيقة، حيث تُظهر الصورة وجه قمة الجبل، ترتفع إلى سماء سوداء كالحبر، ويسقط عليه ضوء الشمس يبرز جمال التكوينات الحجرية لوجه القمة، تقنياً استخدم آدمز مرشح باللون الأحمر ليضفي إعتام وعمق للسماء، وسطوع للتفاصيل الحجرية، والنتيجة كانت صورة تعبيرية درامية لمكان طبيعي مرتبط بذكريات الفنان وتجربته الشخصية(Teiser and Harroun, 1987).

إن تصوير أنسل آدامز لجبل "هاف دوم" نابع من ارتباطه النفسي والشخصي بالمكان، ورغبته في توثيق جمال الطبيعة وعظمتها، تعكس الصورة تجربته الشخصية وذكرياته التي عمقت ارتباطه بمنطقة يوسمايت، وتُعَدُّ مثالًا على قدرته الفنية في نقل المشاعر والتفاصيل من خلال التصوير الفوتوغرافي، لعبت ذاكرة المكان والذكريات دورًا محوريًا في تشكيل رؤية أنسل آدامز الفنية، أصبحت هذه البيئة الطبيعية، ذات الجبال الشاهقة والوديان المهيبة، بمثابة فضاء روحي بالنسبة له، يرتبط فيه جمال الطبيعة بذكريات السكينة والإلهام والدهشة التي عاشها، وذكر آدامز في كتاباته عن أول لقاء له مع يوسمايت، إذ ترك لديه إحساسًا بالصمت الداخلي ورغبة عميقة في التعبير عن هذا الشعور، إنتاج هذه الصورة كان تعبيرًا عن هذه الذكرى الأولى المؤثرة، واستند آدامز في تصوير الجبل إلى تقنية نظام المناطق الذي ابتكره لاحقًا، حيث ساعده في خلق تباينات عميقة بين الظل والنور، مما يعكس إحساس العظمة والرعب المهيب الذي ارتبط بذكرياته عن الجبل، والذي يعكس اندماج الذاكرة العاطفية والشعور بقيمة المكان عند آدمز، في محاولة توثيق تأثير هذا المكان على ذاته (J.N, 1978).

نماذج من سلسلة الأعمال التصويرية (اللانهائية الاصطناعية) ،٢٠١٨، تصوير فوتوغرافي،
https://www.fernandomaselli.com

(شكل٨) متراصة - وجه نصف قبة، حديقة يوسمايت الوطنية، أنسل آدامز، 1927. صندوق أنسل آدمز لحقوق النشر، عن طريق متحف الفنون الجميلة، بوسطن

الفصل الخامس: الجبل في التوجه المعاصر

إن الأمر الذي يحكم تشكل السياق البصري لأي عمل فني معاصر جماليات المضمون، فكل العلوم وكل أنماط الثقافة والإنتاج الفكري تأوي إلى المعنى وراء أي عمل، فهو قصد كل نشاط تواصلي بين البشر، ولأن العمل الفني مرتبط بالواقع، فإنه يدل على معاني ومضامين كثيرة لا حصر لها، وهي خاضعة لقواعد الصياغة البصرية تمثلاً في الارتباط بين الدال والمدلول، وهو نظام يسعى لإجاد نقطة التقاء بين المرئيات والمحسوسات، والفنان المعاصر لا يبدأ بالمعنى، وإنما يسعى نحوه، وتتمثل عملية السعي في التجريب، فتبدأ العملية من شرارة الفكرة أو الخاطرة أو اللمحة، ثم تستمر بالتطور لتصل إلى المعنى، ولا يمكن الوصول إلى المعنى دون وسيط، فتحديد شكل الفن يرتبط ارتباط شمولي بالمادة أو الخامة أو الوسيط المستخدم في خدمة المعنى، لتتطور البنية التشكيلية إلى بنية فكرية وثقافية لأي شريحة اجتماعية، ويمكن اختصار مصطلح الفكرة التي تتشكل بها الأعمال المفاهيمية بنسق ظاهري يؤدي إلى المعنى بمساعدة وسيط، ولا يشترط المفاهيميون صفات خاصة لذلك الوسيط، وإنما تتنوع وتتغير وتختلف كلاً بناءاً على المعنى المراد التعبير عنه، وهذا ما يحكم ازياح الممارسة الفنية المعاصرة عن الممارسات التقليدية، الذي جعل بتوصيف الفنون ما بعد

الحداثة بالغرائبية واللامألوفية، لأنه يرصد كل ما هو عابر في الحياة، وبأوساط زائلة يراها الفنان ملائمة، وهكذا أتيحت للممارسات الفنية المعاصرة ارتياد كل الأنساق الغير مألوفة التي تستهدف طلاقة المعنى والتركيز على المضمون(Raji, & others.(2016

الفنان فرناندو ماسيلي(Fernando Maselli) يبتكر نمط تصويري لمناظر جبلية يسعى من خلالها تكوين تعميم لمفهوم الجبال، وتصحيح التمثيل الذهني للجبال في البشر، ويحاول من خلال الصور الفوتوغرافية التي يصنعها تمييز مجموعة من المعتقدات والمشاعر والسلوكيات تجاه المكان، كموقف تقدير الطبيعة والجبال، بالتالي يدفع الإنسان للتوجه نحو المكان الطبيعي ويسعى على المحافظة على استدامته، بتعزيز سلوكيات معينة، ومنع سلوكيات أخرى، هذا يأتي من فطرية التعلق بالمكان، وإدراك أهميته على إنسانيتا كبشر، ومن خلال صور مركبة لسلاسل جبلية يسعى ماسيلي على تجريب مشاعر الدهشة والرهبة من خلال المشهد، والوصول لحالة التسامي النفسي، الموجودة في صفات الضخامة أو اللانهائية أو الفراغ أو الوحدة أو الصمت، ليجعل من المناظر الطبيعية غير العادية أعمق وأوسع وأكثر تأثيرا على النفس الإنسانية(Flanagan, 2019).

وعلي الصعيد العمراني، وتعمير المناطق الطبيعية، تم اعتبار مبنى العلا العاكس كقطعة فنية بحد ذاتها، تم تصميم مكعب عاكس عملاق من المرايا في وسط صحراء المملكة العربية السعودية تحديداً في منطقة العلا، اذ يهدف المشروع إلى تأصيل الهوية السعودية الثقافية المرتبطة بالمكان عالمياً، يستقطب المزار حوالي ٢ مليون زائر سنوياً، توفر التحفة العمرانية تجربة استثنائية في تأمل المشهد الصحراوي وتبدل شكله البصري بالتغيرات المناخية بالمنطقة، وتبدل الليل والنهار، أصبح مشروع العلا العاكس أحد مواقع التراث العالمي لليونسكو اذ يوفر مساحة ثرية للفعاليات الثقافية، التراثية، والفنية(Wade, 2019).

ويبحث الفنان نيكولا ريفالز (Nicolas Rivals) العلاقة بين الإنسان والطبيعة، من خلال تجريب الضوء وسط الطبيعة فيما يعرف بفن النحت الضوئي، وجاء بفكرة مشروع فني فريد في الفوتوغراف ما يسمى بـ The Light Captured (شكل ٩)، الذي يجمع بين التصوير الفوتوغرافي وفن النحت الضوئي، في هذا المشروع، يعتمد ريفالز على تقنية النحت الضوئي لإنشاء تركيبات فنية مدهشة باستخدام الضوء كوسيط إبداعي، الخطوط الضوئية الحمراء تتجلى في الصور وكأنها تنتمي للطبيعة تمثيلاً مجازياً للإنسان، فالفكرة الأساسية تتمثل في تشكيل هياكل وأشكال ضوئية تتناغم مع محيطها الطبيعي، مما يمنح الصور أبعادًا فنية وعاطفية عميقة تربط الإنسان بالمكان(Jabson, 2016).

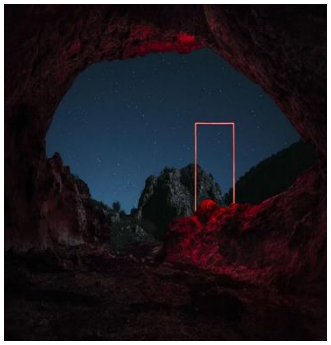

(شكل ٩) نيكولا ريفالز، لقطة الضوء، ٢٠١٦، تنصيب ضوئي في الطبيعة

يستخدم نيكولا الضوء لإنشاء أشكال هندسية أو حرة معلقة أو مرسومة في المشهد الطبيعي، يتم تحقيق ذلك من خلال الإضاءة الطويلة أثناء التصوير (long exposure)، مما يسمح للضوء بأن يترك أثره على العدسة بشكل فني، ويختار ريفالز مواقع طبيعية هادئة ومميزة، مثل الغابات أو السهول، ويضع فيها النحت الضوئي بطريقة تبدو وكأنها جزء من المشهد، يهدف ريفالز إلى خلق حوار بين العناصر الاصطناعية (الضوء) والطبيعة، مما يثير تساؤلات حول العلاقة بين الإنسان والبيئة، فيمثل الضوء عند ريفالز كعنصر عابر وزائل، رمزية الزمن وتلاشي الحياة، في المقابل، المشاهد الطبيعية تمثل الثبات والديمومة، مما يعكس فلسفة تعبيرية عن الوقت والوجود، وتتميز الصور التي يلتقطها ريفالز بطابع سريالي غامض، مما يدفع المشاهد إلى التأمل في المعاني الرمزية للضوء في وسط الطبيعة، من خلال هذه السلسلة الفنية يدعو ريفالز المشاهد لاستكشاف الجمال في الأماكن المعتادة، وإعادة التواصل مع العالم الطبيعي، من خلال رحلة فلسفية نحو اكتشاف التوازن بين الفوضى الطبيعية والنظام الهندسي الذي تمثله الأضواء(Mroz, 2016).

Christophe Benichou

يُعد مشروع "تيب-بوكس" (Tip-Box) للمهندس المعماري الفرنسي كريستوف بينيشو (Christophe Benichou) تجسيدًا فنيًا لحوار الإنسان والطبيعة، حيث يهدف إلى تعزيز هذا الارتباط من خلال تجربة حسية فريدة، يقع هذا المكعب المتوازن بشكل دقيق على حافة منحدر في جبال مونبلييه بفرنسا، مما يوفر إطلالات بانورامية بزاوية 360 درجة على المناظر الطبيعية المحيطة، من البحر الأبيض المتوسط إلى منطقة سيفين. .Caffrey, E. (2017)

يتميز تيب بوكس بتصميمه البسيط والمائل نحو الجرف الصخري، مما يمنح الزائرين شعورًا بعدم الاستقرار والإثارة في بيئة آمنة، يسعى التصميم إلى محاكاة الإحساس بالسقوط، وتُعزز هذه التجربة توجيه نظر الزائرين إلى مشهد جبلي محدد، أراد المعماري التحكم بتلك الزاوية لتبجيل المشهد الطبيعي وتوثيق الارتباط به، من خلال النمط التصميمي الذي اتبعه بإغلاق الجدران الشرقية والغربية للمكعب وفتح السقف للسماح بالضوء للدخول والاكتفاء بشرفه بانورامية أمامية، لتفعيم التجربة وتكثيف الاندماج بالطبيعة، هذا الارتباط يُعد جزءًا من الحاجة الإنسانية الأساسية للتواصل مع البيئة الطبيعية، والتي أثبتت الدراسات أنها تُساهم في تحسين الصحة النفسية والجسدية(Caffrey,2017).

الخاتمة:

يُعد هذا البحث دراسة هامة تستكشف العلاقة التبادلية بين الإنسان والمكان، وتأثير البيئة الطبيعية، وخاصة البيئة الجبلية، على سلوك الإنسان وهويته. من خلال تحليل مجموعة من الأعمال الفنية المعاصرة، تم التأكيد على قدرة الفن في التعبير عن هذه العلاقة بطرق مبتكرة ومتنوعة، مما يعكس التأثيرات النفسية والوجدانية التي يمر بها الإنسان جراء تفاعله مع بيئته.

لقد أظهر البحث أن الفن المعاصر يشكل وسيلة فاعلة لفهم تأثير البيئة على الإنسان، وكيفية تكيفه مع بيئاته المختلفة، مما يعزز الوعي البيئي ويساهم في إعادة تشكيل نظرة الإنسان تجاه مكان إقامته. كما أكدت النتائج على دور الفن في تعزيز الهوية الثقافية وتعميق الوعي الجماعي بقضايا البيئة والمكان.

وفي الختام، يُوصى بتعزيز دور الفن في المناهج الدراسية والمشاريع الثقافية، ودعمه كأداة لفهم تأثير البيئة على الإنسان. كما يُقترح مواصلة البحث في كيفية تأثير البيئة الطبيعية على الإنسان من خلال الفنون المعاصرة، واستكشاف أساليب جديدة قد تساهم في تعزيز هذا التفاعل البصري والفكري.

النتائج:

- أظهرت الأعمال الفنية المعاصرة قدرتها على تجسيد العلاقة العميقة بين الإنسان والمكان، حيث استجاب الفنانون لتأثير البيئة الطبيعية في سلوك الإنسان وأسلوب حياته، خاصة في المواقع الجبلية التي يتفاعل فيها الإنسان بشكل مباشر مع البيئة.
- تميزت الأعمال الفنية المعاصرة باستخدام تقنيات ووسائط متنوعة مثل الرسم، التصوير الفوتوغرافي، والتركيب، التي من خلالها تم التعبير عن العلاقات المتبادلة بين الإنسان والمكان. هذه الوسائط ساعدت في تقديم مفاهيم جديدة حول التكيف مع البيئة وأثرها على هوية الإنسان.
- أظهرت الأعمال الفنية قدرة الإنسان على التفاعل مع البيئة الطبيعية على مستوى عاطفي ونفسي، حيث استخدم الفن كوسيلة لرصد الذكريات والآلام المرتبطة بالمكان، خاصة في البيئات الجبلية، التي تعد ساحة غنية بالتجارب الروحية والوجدانية.

الاستنتاجات:

- يشكل الفن المعاصر أداة فاعلة في فهم العلاقة المتبادلة بين الإنسان والمكان، حيث يتم من خلاله استكشاف التفاعلات النفسية والوجدانية التي تنشأ نتيجة لتأثير البيئة الطبيعية.

- تؤكد نتائج البحث على أن الفن المعاصر يساهم بشكل كبير في زيادة الوعي البيئي لدى الأفراد، من خلال تقديم صور ورؤى فنية تمثل تأثيرات البيئة على حياة الإنسان وكيفية التكيف معها.

- لعب المكان الطبيعي دورًا مهمًا في تشكيل هوية الإنسان عبر العصور، كما تبين أن البيئة الجبلية بشكل خاص تحمل رمزية كبيرة في الأدب والفن، حيث تعد نموذجًا للتأمل الروحي والتأثير الثقافي.

التوصيات:

- ينبغي تعزيز دور الفن في المناهج التعليمية، ليكون أداة لفهم العلاقة بين الإنسان والمكان، مما يساعد الطلبة على إدراك تأثير البيئة في تشكيل الهويات الثقافية والفكرية.

- يُوصى البحث بأهمية توفير الدعم للمشاريع الفنية التي تركز على قضايا البيئة والمكان، خاصة تلك التي تعكس تأثير البيئة الجبلية على الإنسان. هذه المشاريع تُعد أداة مهمة لنشر الوعي البيئي وتعزيز التواصل بين الإنسان وبيئته.
- من الأهمية تنظيم معارض فنية تركز على البيئة الطبيعية والعلاقة الإنسانية بها، بهدف زيادة الوعي بالبيئة وتعزيز الفكر البيئي من خلال تجارب فنية تفاعلية.

Conclusions:

1. Contemporary art is an effective tool for understanding the interrelationship between humans and place, exploring the psychological and emotional interactions that arise as a result of the influence of the natural environment.
2. The research results confirm that contemporary art contributes significantly to raising environmental awareness among individuals by presenting artistic images and visions that represent the effects of the environment on human life and how to adapt to it.
3. Natural spaces have played an important role in shaping human identity throughout the ages. It has also been shown that mountainous environments, in particular, hold significant symbolic significance in literature and art, serving as a model for spiritual contemplation and cultural influence.

References:

1. Alaa, Mohammed. (2012). **Humans and the Perception of Place.** *Tarek Waly Center for Architecture and Heritage Journal*, 2(4).
2. Mudhar Khalil Omar. (2008). **Essays on Contemporary Geographical Thought.** Part Four. *University of Diyala.*
3. Al-Azzawi, Sami, Mahdi. (2009). **Humans and Place: Reciprocal Interactions.** *Diyala Journal, Issue 40.* https://doi.org/10.57592/djhr.v1i40.2215
4. **Tafsir Ibn Kathir**, and others (d. 774 AH). *Dar Al-Ma'arifa for Printing and Publishing, Beirut, Lebanon, 1402 AH – 1982 AD.*
5. AlHarbi ،Ghoroub Awad (2024.)The philosophy of social ecology and its impact on the work of cubist artists (An analytical study) .Volume 12, Issue 41.1, January 2024. DOI: 10.21608/ejos.2024.338168
6. Ali, Samira Fadhil(2022). Design Aesthetics in Ecological Environmental Art. Journal of Scientific Development for Studies and Research (JSD). 9 Issue 3, V. DOI: https://doi.org/10.61212/jsd/6
7. Al Kaabi, Ghassaq Muslim(2019). Ecology in European Art Ages 12-19 . University of Babylon Journal - Humanities Sciences, Vol. 27, Issue 3. https://search.mandumah.com/Record/1320097
8. Naima, Azzi Saleh. (2021).Humans and the Mountain: The Psychological Meanings and Symbolism of the Mountain (An Analytical Study). Journal El-Baheth in Human and Social Sciences. Volume 12, Numéro 1, Pages 25-37.
9. https://asjp.cerist.dz/en/article/142121
10. Hauser, Arnold. (2005). **Art and Society Through History.** Translated by Fouad Zakaria. *Dar Al-Wafa, Alexandria.*
7. Woolfe, S. (2024). Cave paintings and shamanis. Available at: https://www.samwoolfe.com/2013/04/are-cave-paintings-sign-of-shamanism.html?fbclid=IwAR21leLah13XH3MizJztHywVacg-
8. Harte, K. (2000). Birds of the Thera Wall Paintings. Athens, 681-697.
9. Poursat, C. (2022). The Art and Archaeology of the Aegean Bronze Age: A History. Cambridge University Press,169-194.
10. Rousopoulos, Panayiotis & Papaodysseus, Constantin & Arabadjis, Dimitris & Exarhos, Michail & Panagopoulos, Michail. (2011). Reconstruction of Fragmented Wall Paintings by Exploitation of the Thematic Content. International Journal of Imaging, 5.
11. Hansen, D. (2003). Art of the Akkadian dynasty, in Aruz and Wallenfels 2003:189-198.
12. Haider, Hamid Khairy. (2020). A Technical Study of the Victory Stele of the Akkadian King Sharru-ken. *Civilized Dialogue Journal*, 6627.
13. Renate, V. (2017). THE STANDARDS ON THE VICTORY STELE OF NARAM-SIN. Journal for Semitics. 25. 33. 10.
14. Zucker,S., Harris, B, (2015). Victory stele of Naram-Sin. https://smarthistory.org/victory-stele-of-naram-sin/
15. Al-Ja'ali, Mohammed Shaker Ahmed, and others (2019). **The Role of Symbolism and Its Implications in Ancient Egyptian Relief Sculpture.** *Journal of Qualitative Education Research..* DOI: 10.21608/mbse.2019.135605
16. Mohamed, Shaimaa (2024) Religious and Symbolic Connotations of Repeating thept andtA words in The Ancient Egyptian Texts. Ḥawliyyaẗ Al-Itiḥād Al-ʿām Lil Aṯārīyin Al-ʿarab - Dirāsāt fi Aṯār Al-Waṭan Al-ʿarabī. 27, 2024, 60-69, DOI: 10.21608/cguaa.2024.259334.1204
17. Kenneth. C. (1993). Leonardo da Vinci. Penguin Books.
18. Martin, K. (1981). Leonardo da Vinci: The Marvelous Works of Nature and Man. Oxford University Press.
19. Richter, A. (2008). The Notebooks of Leonardo da Vinci. Oxford World Classics, 2008.
20. Koerner, J. (1990). Caspar David Friedrich and the Subject of Landscape.
21. Robert Morris, R. (1998). Cezanne's Mountains, Critical Inquiry. Vol. 24, No. 3 (Spring, 1998), 816.
22. Venturi, L. (1937). "The Early Style of Cezanne and Post-Impressionists", Parnassus Vol. 9, No. 3.
23. Smith, P. (2013). Cézanne's Primitive Perspective, or the View from Everywhere. The Art Bulletin, Vol. 95, No. 1.
24. Forrer, M. (2019). Hokusai: Mountains and Rivers Without End. Thames & Hudson.
25. Henry Smith, H. (1988). One hundred views of Mt. Fuji. New York: George Braziller
26. Hammond, A. (1999). Ansel Adams and the high mountain experience, History of Photography, 23:1, 88-100.
27. Teiser, R, Harroun, C. (1978). Conversations with Ansel Adams. Regional Oral History Office, Berkeley: University of California
28. J. N. (1987). LeConte, A Summer Travel in the High Sierra.

29. Raji, Maki Omaran, and Ali, Samira Fadhel Mohammed. (2016). **Aesthetics of Content in Conceptual Art.** *Journal of the College of Basic Education for Educational and Human Sciences, University of Babylon, 33* https://search.emarefa.net/detail/BIM-759036

30. Flanagan, R. (2019). Fernando Maselli Creates Infinite Mountainscapes in His Quest For The Sublime. https://www.ignant.com/2019/05/23/fernando-maselli-creates-infinite-mountainscapes-in-his-quest-for-the-sublime/

31. Wadi, S. (2019). Maraya, A Colossal Mirrored Concert Hall in The Saudi Arabian Desert, gio forma studio associato. https://www.ignant.com/2019/03/27/maraya-a-colossal-mirrored-concert-hall-in-the-saudi-arabian-desert/

32. Jabson, C. (2016). Geometric light installations by Nicolas Rivals Bath the Spanish Countryside in Red. https://www.thisiscolossal.com/2016/11/geometric-light-installations-by-nicolas-rivals-bathe-the-spanish-countryside-in-red/

33. Mroz, M. (2016). The Light Captured by Nicolas Rivals. https://www.ignant.com/2016/11/29/the-light-captured-by-nicolas-rivals/

34. Caffrey, E. (2017). Tip box offers mountain views that will blow you away. https://ecophiles.com/2017/04/05/tip-box-mountain-views-blow-vertigo/